

بيار مارسيل مونموري

سفر منفرد

ملهمة الفن لا تنام أبدا
والحُبُّ لا يموت
ترجمة عبد السلام يخلف



رواية مقروءة

تحذير

لم تتم كتابة هذا النص كي يكون مرفقا بالموسيقى. الموسيقى الوحيدة التي نسمعها هي صوت المتكلم.

لم يُكتب هذا النص في شكل أبيات شعرية ولكن في شكل كلمات. يتم التهام الكلام من قبل المتكلم الذي عيّن تولىفته لتكرير نفسه.

يجب أن يكون القولُ هو الذي ينتزع كل غرور. تماما مثل ضرورة أن نعيش لنفهم. أن تكون كأس الشارب ممتلئة دون أن تفيض. هناك ما يكفي من الخطوط المكتوبة التي تكفي بذاتها.

لا كثير يكفي أبدا. من المؤلم أن تجوع حين يأكل الجميع.
لقد تم تحذيركم الآن.

المؤلف المتحرر

بيار مارسيل مونموري

سفر منفرد

رواية مقروءة

لصاحبها بيار مارسيل مونموري

ترجمة عبد السلام يخلف

- المنحوتة لنزار علي بدر / جبل صافون / اللاذقية، سوريا

www.poesielavie.com

الناشر بيار مارسيل مونموري

ردمك 978-2-924985-81-6

الغلاف: تشكيل حجري من جبل صافون بسوريا

نزار علي بدر ، نحات من اللاذقية

تقديم

الرحلة الأخيرة للمكتشف

أتذكر أسلافي المكتشفين الذين جابوا الأرض من حيّ إلى آخر وتحدثوا إلى شعوبهم ليكوّنوا منهم بلدانا.

أحيانا، غنى هؤلاء الشعراء عندما تحوّل الشعور العميق بداخلهم إلى قصيدة وقدموا أنفسهم هدايا تمامًا مثل الطعام الطازج للأشغال والأيام.

هذه الرحلة الأخيرة للمكتشف - عندما سكت صوتّه في آخر أنفاسه، يُذكرني بمساراتي، وأواصل سيرتي مستريحًا بكلماته الأخيرة - كلماته التي تتبع كلماتي خلف كلّ واحدة من خطواتي في استعجالي لتلبية حاجاتي الأساسية مثل الماء والخبز والملبس والنوم.

لقد حوّل المكتشف الحياة إلى أشعار لأنه يجني منها كل الثمار، منها الأمل ومنها الأكثر مرارة أيضًا. بأحضان ملاً زوّادته وعندما توقف على عتبة مضيافة بها نفر قليل من الناس، أخرج الجوهرة الجديدة لكلمات طازجة طالعة من قلب قلبه واستمع إليه الناس مثل مبعوث سماوي من فلك عاقل.

أصبح الضائعون متطوّعين للغرق، والسفينة غدت ملجأ أموميًا لبلادهم حيث تسموا من تلك اللحظة بأسماء القبطان لتعليم ذريتهم الطرق النبيلة لبلوغ الجمال.

لم يوافق المكتشف أيضًا على مقايضة حماره بألة ضجيج تنتن، تحطم المناظر الطبيعية وتخيف العصافير. فضّل الحبّ الأبديّ على التقدم الكاذب.

مشى على رجليه كما مشت الإنسانية حافية القدمين. لقد صرخ كما صرخت أيضًا على أولئك الذين تركوا الرّسن يحكمهم وباعوا نكاههم لفكرة عصرية والذين يغزلون الأشباح وهم أصنام الجشعين الذين يلهمهم المكر.

ولكن ماذا لو كان لديك فمّ وذراعين فقط للتغلب على الهواء؟ ماذا تفعل عندما يطبق العقل الذي بلا قلب على الكلمات ويُخرج الأسلحة؟ ماذا تفعل عندما يتهم الرجل الضائع مرشديه بفقدانه؟ ما العمل؟

قصائد! قصائد جديدة تولد في منبع قلب حر وكلامها ماء الفم حين ييبق اللسان عند إخراجها.

أن نقول آخر قول - إذا ما نحن لم نسمعه، فإن الظلام سيزداد سوادًا ويطيل الليل الذي صار يبدو بالفعل لا نهاية له.

الرحلة الأخيرة، الخطوة الأخيرة قبل الانتصار على وقتها والتي لن تُتعب أبدا مسيرات الشجعان، وفي الصباح الموالي تستفيق بلادٌ تخطُ إيماءاتها مع أشعة الشمس اللامتناهية. ومع ذلك فإنها تحرق الرغبة التي لا نرغب فيها بينما سيخفف القمر من المداعبات القاسية للحروب ضد الذات.

ويشعل المكتشف غليونَ الحشيش ليختبئ خلف ستار الدخان في قرنه. قرئه الذي عبّرتَه الأضواء التي لا تلمع سوى على نجوم الأبطال المستحقين. ليلة بيضاء إلى الأبد حيث يحافظ الحارس - الشاعر على نار الصداقة مشتعلة، النار التي حولها يتم تشارك الماء والخبز والثوب والنوم.

أيها الشاعر! أنت تصغي إليّ وأنا أجلسُ بالقرب منك في ضوء اللهب وأتكلمُ وكأني أثبت وجودك لي لأن حزني هائلٌ ويهددُ بغرقني في البعد أكثر.

في نهاية أنفاسي، هل سيوجد هناك فرح؟ نعم، أنت تقول لي نعم، نعم، في نهاية القصيدة ستكون قد أنشأت كونا حيث تذهبُ الدولُ الأجنبية معاً لتصنع أرضاً للمنفى لأولئك الذين فشلوا في الصمت المطلق للحادثة بينما سينهض الشعراء بعدما جنحت سفينتهم، بعد أن يكون شعورهم قد هاجر إلى قصيدتهم.

ولكن من يستمعُ معي للأبيات الغريبة لهذا الشاعر؟ شيوخٌ بسمع غريب وموهبة للكلام، كبار السن الذين يحولون أقوالك إلى كلام مألوف، والعالم الجديدة - الأطفال الذين يقلدون الأجداد، من خلال تقليد كلماتهم وغناء فرحتهم الساذجة - التي يضيفون إليها حركات العمال في طريقهم على جميع الدروب التي ستكون في هذا اليوم.

في رحلة المكتشف الأخيرة، لم يعد كلامي محاصراً، تمَّ اختيار كلماتي وقراءتي هادئة. من خلال نافذتي أسمعُ ضجيج الساحة العامة التي أعيدت للتجار وأمدّ أذني ولا أتلقى إلا كلمات واهنة، همس طفولي منطفي، صرخات حناجر مخنوقة، والصمت الثقيل لضجيج يصم الأذان آت من آلة تنتج إشارات للتجمع، عواء صفارات الإنذار، تحذيرات الحمولات كما لو أن العديد من القطعان تلاقى في ذهابها إلى وجهات لا تعترف بها سوى المخابرات البكماء.

تتألاً الطبيعة بالكثير من العناق حتى أنني أشعلُ ناراً عكسية لإخماد هذا الحريق الأخير. إنها بداية رحلتي، الإيماءات الأولى لقصيدتي اليوم، الكلمات الأولى لحياتي.

بعد آخر رحلة لمكتشف الشعر.

بيار مارسيل مونموري - مكتشف

سفر منفرد

حين أصلُ إلى منزلي أشعلُ نارًا من أحلام
الأخبارُ التي أحملها سأقرأها في زاوية عينك
إملاً قَلَّتْكَ بالمياهِ العذبةِ لأشجارِ زيتوني الثرثارة
وسوف تقطعين كسرةَ الشعيرِ لجوعي الغريب
حتى وإن لم يكن لك شيءٌ، انتظرنِي بهدوءٍ على عتبة دارك
سأكون في مسيرتي قد التقطتُ أفضلَ الرحيقِ

أطيلُ خطوتي المثقلة باليقين في الحجارة
على جلدِ ظهرِ الجبال التي دمَّرتها الينابيعُ
أقودُ قطيعًا من الأفعال المرصوفة في حقيبي
عصا المشي تدفع خط الأفق المجنون
على جانبيّ طريقي تقفُ أنيابُ الدِّبِّبة
ساعتي الأخيرة ظلِّي يتبعني مثل عَدَد

سأتحدثُ إلى ساكني الكهوف
الذين لم يخرجوا من مخابئ الأرض هذه
حيثُ تنضجُ حبوبُ القمح الصَّلبِ عندما تكون السماءُ ليِنَّةً
إلى هؤلاء شاربي الحليب الذين يجهلون كلَّ ما في الحانات
سأري للآخرين كل مخفي على الأرض
يشكون في أنه ما زال يريدُ تعليمهم

من الذي سوف يشير من عتبه إليّ من بعيد بصراحة يرتجيني
حين ترفضني الأبواب الأخرى حين تصفّعها الريحُ
الحَجْرُ الناعمُ ينتهي متأكلا لكنّ الطبيعة تدومُ
سواء أحضرتُ لها ولادةً جديدةً أو جدادًا قديمًا
فليمنحني القليلَ الذي يمتلكه أو يبين كنوزَه
يصقل المضيافُ قلبَه أما المتوحشُ فيظلُ خالدًا

الآن بعيدًا عن البداية والوصول دوما في المساء
حين اشتعلَ الضوءُ الأول والظلُّ الذي يرتدي الأسودَ
أطلعُ بين الحجارة المكدسة في منازل بكماء
بين صرخات الوحوش وأصواتِ البشر الطائعين
سأسائل مدخلهم تكرّمني اللامبالاة
تسمح لي كرامتي بروية الحظ اللطيف

يبتسم لي أحدُ معارفي بفندقه القديم
لولاه لكنتُ اجتزتُ المعبرَ وهربتُ بعيدًا عن الحواجز
وأودعتني في حفرة لطيفة بارهاقي
وفي صمت على الأقل تسمحُ لي بأكل التين
أهضمُ ليلتي إلى مائدة النجوم المحتفلة
أو أعاني بشاعة الوقت في قحط الهزائم

عندما أكون نزيلَ صديقٍ مضيافٍ
أحرق كلماته بمرح على النار وأجمعُ
الجمرَ الساخنَ لمذكراته العجيبة
هدايا رائعة من مألوفه العظيم والمتواضع
أثارت فضولي أسئلة بكماء
يحرزها مضيبي بتخمين ملبياً طلباتي

رغمًا عني يطلعُ الشعورُ من الأعماق
وفجأةً أبدأ الحديث كما في وقتي
حيث بدون تأخير أقول ما أشعرُ بواجب قوله
ما دام لا يزالُ هناك وقتٌ للتذكر
ما دام ضيوفني للحظة يتمتعون بمحاصيلي
التي خزنتها لأطعمَ الدمَ الوقحَ

الحجارة للإنسان بمثابة الحجارة للمياه
وتنضجُ الحبوبُ الجيدة مثلما تحضّرُ الخمائرُ المثالية
لعاملة في فرن القرية بأيدي نشيطةٍ
يوزع الرجالُ الخبزَ على الجميع كما ينبغي
العيشُ والموت والولادة دون خوفٍ هنا وغداً
تنشأ أغنية الحبِّ الكاملة من قفار البشر

قبيل الفجر يمدّ اليومُ قبضةً في زاوية من الليل
 الشائعاتُ قلقة متخفية في التلال الرطبة
 والرياحُ النزقة تمسك أنفاسها المحروقة
 كأن كل شيء يجب أن يبدأ الآن
 تمامًا مثل المَلل القابع في قلب الحجارة مثل سمِّ عديم الجنسية
 يسيل في عروق هذه الأرض المدمّرة

فجأة تمطر الحديد المحمرّ ويتدفق الدم الأسود
 حركات الرجال مشوشة والكلام أبكم
 أفواه تتلوى وتعضُّ على شفاهها
 ظلال حادة وشفرات البرق من غطاء أسود
 يلفّ بحبره الرعب القائم
 وتمائم كلاب بدون طوق مندهشة خوف الاشتعال بالحمى

كيف لم يصدّق رجالُ هذا المكان الدوامات
 في ماء الينابيع الصافية في طين المستنقعات
 زوابع الرياح والحليب حيث طحين القهوة
 يمنحهم الوقتُ الصحةَ والمجنون الأبدي
 الذي يكفي لإرضائهم كلما يأتي يومٌ
 دون أن يكون من الممكن تنفيذ إعدام واحد بالحرق

من أجل الوقت المفروم بالحديد وصبر الديدان
 لم يَزُرْ أياً منهم كابوسٌ مدهشٌ من هذا الطين
 الذي لا يغطي جيداً سعادة البسطاء المجهولين
 الذين من السهل مَسْحهم من الخرائط في أوقات العمل
 بعد أن خرج الغرباء من الحفرة التي لا توصفُ
 لتذوق الذهب الأسود ورفع عَلمهم المشين

كانت لديهم ثقة عمياء عن آخرها

وجيوش الفقراء تنقل الغنائم

إلى القصور التي بنوها بالحجارة والعرق

يظهرون في وقت التعذيب كشهودٍ حتميين

يفوزون بدورات في لعبة الساقطات الحزينات

والأفاضل فيهم يمدحون جلاديهم بربايعات

أراضي منهكة حدّ الرمل وينابيع جفت رغبته

جحافل المحرومين تخطيط الخيط اليابس

على جانبي الأفق يقودهم الترحالُ

من حدود إلى أخرى لفدية حياتهم

بقطعة من أسمال أقاموا شراعاً لائقاً

حتى يُروا من بعيد وهم يختفون للأبد

بلدانٌ تمَّ محوُّها تحت طرق التجارة المبلطة
 بلدانٌ سُرقت من ذكريات ذاكرة مفقودة
 بدون تذكرة للعودة دائما قبالة الموت
 شعوبٌ مشردة في شفق مهجور
 دون قبر باستثناء بطانية من التراب العاري
 بالملايين سوف يصنعون ذاك الشيء أمام العجل الذهبي

نسمي حياته حضا حين نكون في الجانب الآمن
 الميزانُ مزوَّرٌ والمعدة شبه ممتلئة
 لا تسقط الغيومُ على الرؤوس المُرَقمة
 آه ما أجمل العيش دون التعرض للركل
 نستهلك بؤسنا دون أن نسحب الزنادَ على من هم روابطنا
 وإذا صمتنا بأدمغتنا الفارغة فيمكننا التجشؤُ

يعود المساء فقط مع موكب الظلال
 حائرَ النوم بنفَسٍ على جمر الأنقاض
 يأخذنا إلى بلدٍ بدينٍ في أحضان الأمهات
 وجميع الأطفال الذين لم يعودوا يُحسبون بالأرقام
 ينادون آباءهم حين يتراكم الخوفُ من الولادة
 وفجأة تعودُ الأحلامُ وتزدهر اليوتوبيا

لماذا يكون الفجر للعسس والنهار للموتى
على غبار الزمن القديم ها هو طينُ الزمن الجديد
ومعه ما يمكن عجنه ستمنحنا الأيدي رائحة البلد
دونَ تعبٍ أكثر من تعبِ الذهبِ المخبأ
الذي سيُمكن الجميع من تنفيذ أشغالهم
عندَها بالجمال تنمو خريطة هذه البلدان

سوف تقرأ هذه القصيدة الحكيمة كوطنٍ لوجهٍ
حيث انتهت العواصف من جلب الطقس الجيد
بالصبر والهدوء في الجهدِ
لن تندم على مرورك الحتمي
عند الوصول من أجل انطلاقك ستحبُّ هكذا
كي لا تنام ربّة الحب و لا يموت الحبُّ أبدا

لذا عدتُ إلى البلد المسطح بالصحن الفارغ
لا صوتَ لنقودٍ ترنّ في قصعة الرفض
أطلقت الوديانُ والجبالُ العنانَ لأمواجها
وتغرق في هاوية السماء الحمراء الممزقة
لا مرساة من ذراع تحبسُ أيّ فائضٍ
وكان الحصادُ غبارًا من عرقٍ وصرخاتٍ بكماء

يترك الرجالُ الظلالَ وتُسقطُ النساءُ الجِرارَ
تتدحرجُ الأجنَّةُ في هاوية الفيضانات الغزيرة
أمعاءُ العالم المتقيّاةُ منثورة على الأرض الخرسانية
ها هو الربحُ المقدَّسُ للآباء الذين يدفعون بابنهم
إلى الجريمة الموقعة بصكِّ غفرانٍ لأرباح
يسكبها إله المال الشبعان في محفظة المعبد

هل جننا هنا كي نُحصي الأيامَ فقط
هل أنا القطيعُ الخاملُ أم أنا ذاتي زمرة
هل أحسبني أكثر من عدد أصابعي وأبجدية النحل
إنّ عسلي سيكون طيبًا طالما أزور ألفَ زهرةٍ
كان خبزي يطلع في ماءِ الينابيع المالحة بالعرق
طالما سمعتُ العندايبَ طالما هناك طيورٌ بالليل

لذا رحلتُ دون بوصلَةٍ عبر المجهول
عبرتُ غاباتٍ من مخالبٍ وأنهارا خانقة
ولم يُقبض على رجلٍ أبدًا لشمّه الرائحة الخالدة
أن يطاردني دومًا ظلُّ بستان حزين
ريحُ جسدٍ دافئٍ به رائحة المسك والزعور
أنا لم أعد أو من سوى بها - فتاتي اليتيمة

ما اسمك هذا الذي يمشي عالقا بقصيدتي
 تدفعُ كتفي أو تسحبني من الكم
 محافظا على وجهه فقدتها وأنا أتذكرُ إذن
 ولادتي على حافة نهر حيث مهدي
 ينجرفُ بعد مغادرته للذراعين البريئتين لذاتي
 أنت ترفع شراعك وتحتضنُ الريح التي تهددني

أنا هنا موضوعًا للوهم زوجًا للخرافة
 أعود من ضياعي كشبح أتوه
 على مرافئ مدن العزلة المسيجة بالأسوار
 يختفي ظلك الناعم في الاسفلت
 أبصقُ في الظلام ضياعي التعيس
 تصبُّ القوة نورها وتختفي الشمس

أنظروا يا أصدقائي الذين تعيشون في قلبي
 أبكي دون دموع مبللة كي لا يراني الأعداءُ
 لأنني في الأحياء أشعرُ بغيره الممل
 الذي يبحث عن فرائسه ويطحنها ويصبُّ الإسمنت
 هو اليأسُ يوزع أوهامه المدفوعة
 ليس لدي مائة سنتيم لأهب نفسي ضحكة فوق جوعي

أنا حرٌّ وأتعلّم كيف أحظى بتقدير كبير
الرفضُ المهذبُ اللامبالاةُ الدنيئةُ الاحتقارُ
ما تمّت خياطته في الأحلام التي يلبسها الناس
من يعيدني لذاتي يُرافقُ وحدتي
الآن أنا متأكدُ أبحث عن فتاتي التي تبحث عني
وكلنا دون نسيان يومٍ واحدٍ نتشاركُ حزننا

حيثما تولي وجهك ثمة بلادٌ
لا تبحث أبداً بل جد كل ما يقدم نعمةً
في يومٍ رماديّ تهديداً رهاناً خاسراً
الجمال الذي يمكنك رؤيته أنت اخترته دون فخر
يشعرُ الجوع بالرضا بمجرد أن تطعمه القليل
كمية من ذاتك تُعطي المذاق الغريب

حتى على خط البداية أصلُ على القدم اليمنى
ضع بعض الريح في حذائي فالمتسولة سريعة
سأدفع لها ثمن زيارة "بامبلونا" ووسادةً وثيرة
بعد أن تغني سأقبل حنجرتها العارية
ستناديني أميرها وتحسب لي قصورها
سأعطي نومها بأبهى بهارجي

الحجر بدون اسم

تبلي ريحُ الخلودِ الحجرَ في رمالِ الغرورِ.
يصبح الغبار ريحًا تغارُ من الصخورِ الصلبةِ.
تداعبُ مياهُ الفمِ اللحظةَ الغيورةَ من الكلماتِ المنحوتةِ على جبهةِ البناياتِ
الفخمةِ.
ليس لدى الإنسانِ سوى يدٍ واحدةٍ فقط ليشتم زبدِ حياتهِ.
كل الحجارةِ المعروفةِ تتدحرجُ بين الصخورِ غيرِ المباليةِ وازدراءِ
الرمْلِ.
المنفي عنوةً على كوكبِ الأرضِ: مثل حَجَرٍ مجهولٍ، يوجد صمْتُ
المصيرِ داخلِ هذه الجزيرةِ، أجمل بلادٍ في الكونِ.
حجرٌ كريمٌ، جوهرةٌ متفردةٌ، قلبُ البلادِ حيث يحلو العيشُ، حيث تعدُّ كل
كلمةٍ صيداً ثميناً من مصدرهِ.
حجرٌ لا اسمَ لهُ يعتبرُ العالمُ ثوباً للسفرِ.
بغضِّ النظرِ عن الصخرةِ حيث غادرَ، فإن الحجرَ قطعةٌ من نجمةٍ في
سريِرِ الحالمِ.
في صباحاتِ المستيقظِ، الطريقِ، المنزلِ والقبرِ، أو ربما المقلاعِ.
حجرٌ نَحَتَهُ اللسانُ للعثورِ على الكتابةِ، يوقَعُ المجهولُ على مرورهِ إلى
الأبديةِ.
وإذا التحقَ الحَجَرُ بالهاويةِ، يقدم حجرٌ آخرُ نفسه في متناولِ يدِ الرجلِ
التائهِ.
كلُّ أحجارِ السفرِ التي تم تحضيرها كي تجتازِ المدةَ تمَّ تجاوزها من
طرفِ رياحِ المصيرِ الدائرةِ.

العابِرُ، ورشة لتوقفات وهمية لوضع الغرور!
الحجر لا يكذب، إنه مجرد حجر، حصة تافهة في حذاء شخصٍ يعاني،
يمشي، جاء إلى كوكب الأرض لزيارة أراضي منفاه.
إنسانٌ لديه كي يعيش، الحواس المشتعلة والعقل الحارق، وما تبقى له من
الرحلة سوى الشعور العميق بفرح أنه محبوبٌ بدون سبب.
الحجر في يد الإنسان يصبح حجرًا مسمًى.
لم يجد الإنسان الذي من دون حجر نفسه مرميًا على شواطئ التفاهم.
لم يتدحرج الإنسان الذي من دون حجر أبدا وصولاً إلى قبره.
كونك حجرًا دون اسم وتمتلك الريح لنفسك يعني كل الفرحة.
وها أنا هنا. هل جنّت هباء؟ هل أحبوني بلا سبب؟ هل أفتقدتُ بدون
فائدة؟

بيار (حجرٌ)، هل أنت هنا؟

الكلمة الأخيرة:

رجاء، لا أحد يرسم صورة المؤلف من خلال هذه الكلمات لأنه إذا ما شعر بالشفقة على الإنسانية فهو مجرد كاتب حرفيٍّ ومن ثم فإنّ وظيفته هي إنجاز أعمال بطلب من إلهامه والجنيات التي تعتر بعقريته من المهد وتضيف خيالاً يسحرنا.

المؤلف الملهم

بيار مارسيل مونموري

poesielavie@gmail.com

ترجمة عبد السلام يخلف

الغلاف: تشكيل حجري في جبل صافون بسوريا

من طرف نزار علي بدر، نحات من اللادقية

بيار مارسيل مونموري

سفر منفرد

ملهمة الفن لا تنام أبدا
والحُبُّ لا يموت
ترجمة عبد السلام يخلف



رواية مقروءة